AL-MUSHAHID ASSIYASI - Volume 7/Issue 271/20-26 May 2001

المشاهد السياسي، السنة السابعة/العدد ٢٧١/ ٢٠ - ٢٦ أيار ٢٠٠١

المشاهد السياسي

أسبوعية سياسية مستقلة

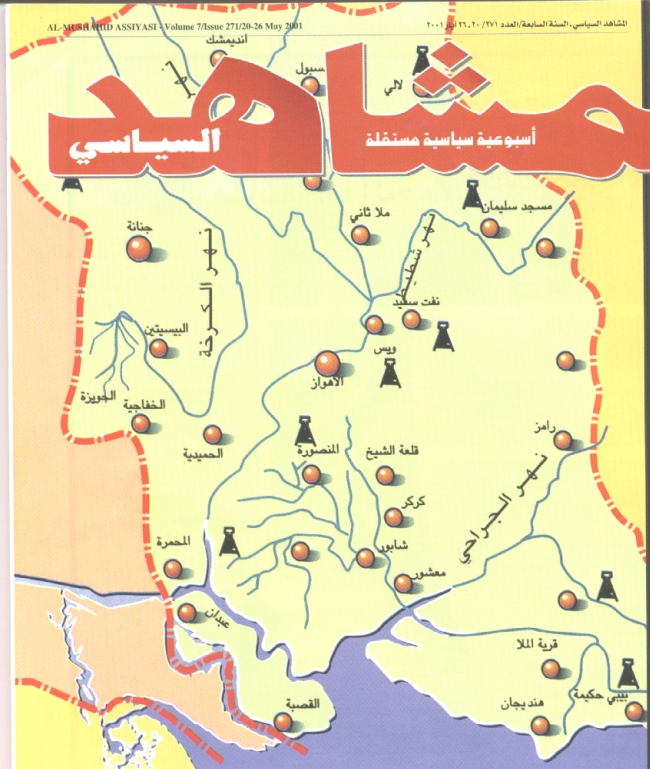

أول دولة شيعية في التاريخ الإسلامي

عربستان: الحاضرة الغائبة في معادلة الشرق الأوسط

عربيات:
محمد حسنين هيكل يتحدث: حقائق القوة تحكم عالم اليوم

دوليات:
كوندوليزا رايس: كيف تفكر حاكمة البيت الأبيض ؟

اقتصاد:
الولايات المتحدة: وهم القوة يأكل أصول الاقتصاد

مشاهير:
مادونا: نجمة في الغناء وفي الثروة

نهضة قومية عربية تبحث عن الذات

عربستان: الحاضرة الغائبة في معادلة الش

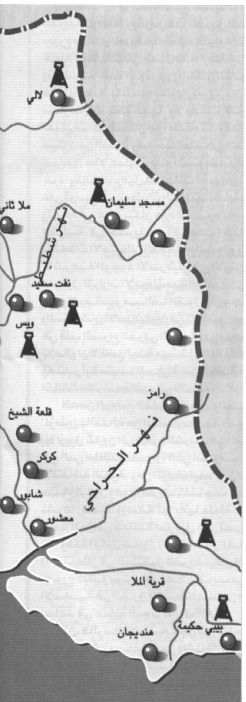

جاءت التطورات السياسية الأخيرة في المنطقة، وفي مقدمتها مؤتمر القمة العربية في عمان، لتجدد التأكيد على أن المشاكل العالقة بين العرب وايران لا تزال تشكل مصدر قلق كبير للعرب شعوباً وقادة، خاصة في ظل التصاعد المتواصل للنزاع الإماراتي الإيراني حول الجزر الثلاث في الخليج العربي، والذي قد تحول عمليا خلال السنوات الأخيرة الى ثغرة متنامية ليس في العلاقات الخليجية الايرانية فحسب، بل العلاقات العربية الايرانية ايضاً. فضلاً عن المخاوف العربية المتزايدة من «خطر التسلح الايراني في المنطقة»، وقد مثل المناخ السائد في العلاقات العربية الإيرانية، عاملاً في اثارة تساؤلات ملحة حول سر «غياب قضية عربستان (الأهواز) عن دائرة الاهتمام العربي والدولي»، خصوصاً وأن الأوضاع السياسية والأمنية والاجتماعية في الاقليم كانت ولا تزال مضطربة نتيجة لعوامل عدة أهمها التفاعلات الصراعية بين إيران والعراق، والتي بلغت ذروتها إبان حرب الثماني سنوات، والمقاومة المتواصلة التي يبديها شعب عربستان الذي يعد أكبر الشعوب العربية في الخليج، بعد العراقي والسعودي، (حيث يزيد عدده على الأربعة ملايين) في وجه السياسات الإيرانية الهادفة إلى طمس هويته الثقافية والقومية.

الجدير ذكره ان السياسات الإيرانية هذه لا تستهدف العرب وحدهم، بل جميع الشعوب غير الفارسية في البلاد، ومنها الأذربيجانيون، والأكراد، والبلوش، والتركمان، ولو بدرجات متفاوتة. كما أنها لا تختلف في جوهرها ومراميها في ظل حكم الشاه أو الثورة. إذ كان النظام الشاهنشاهي السابق يعتمد عملية تفريس قسرية سافرة تنخذ من مشروعه العلماني التغريبي والشوفينية الفارسية، وتراث الفرس ما قبل الإسلام، نهجاً ومصدر إلهام، والتي كانت حصيلتها المأساوية تراجع الوعي القومي والتاريخي، وبروز أزمة هوية حادة، وتأخر ثقافي واجتماعي واقتصادي لدى هذه الشعوب التي تشكل ٦٠ في المئة من المجموع العام لسكان إيران، مما زرع في نفوس أبنائها احقادا وشعوراً مريراً بالغبن وتهديد الوجود. الأمر الذي ساهم بدور هام في اندلاع الثورة ضد نظام الشاه وسياساته العنصرية ومشاريعه المناهضة للإسلام.

أما النظام الثوري الجديد فلم يتخل عن سياسة التفريس، تجاه الشعوب غير الفارسية، ولكن هذه المرة، تحت عباءة الأخوة الإسلامية والوحدة الوطنية، إلا انه لم ينجح إلا في إضرام النار في أطراف هذه العباءة التي تكاد اليوم تحترق وتمزق بفعل تصاعد أوار النزعات القومية والطائفية، فضلاً عن استمرار تفاقم الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتطور الصراع على السلطة من صراع التيارات والأجنحة إلى صراع المؤسسات والأجهزة، وتدهور هيبة الدولة، وهبوط مستوى المناعة الأمنية في البلاد، على نحو غير مسبوق.

والواقع ان قادة الثورة الإيرانية وقعوا في الخطأ ذاته الذي كان ولاة الأمر في الدولة العثمانية قد وقعوا فيه من قبل، عندما توهموا أن في إمكانهم تتريك الشعوب الخاضعة لسيطرتهم، تحت غطاء مصطنع من الدين والأخوة الإسلامية، ففشلوا وانهارت دولتهم واندثرت أحلامهم، بعد ان تبخرت مشاريعهم السياسية والدينية الطموحة، ونال الصراع على الحكم، والتدخلات الأجنبية، والنزعات الاستقلالية لدى الشعوب غير التركية ما نال من سلطتهم وهيبة دولتهم.

ومن هنا، وانطلاقاً من التشابه الكبير الذي بات يبرز بين الأوضاع الإيرانية الراهنة والظروف التي سبقت بسنوات قليلة انهيار «مركز الخلافة الإسلامية» في الأستانة، فقد أصبحت بعض الأوساط السياسية والأكاديمية في إيران تخشى من أن تلقى الدولة الإيرانية المصير نفسه الذي كانت الدولة العثمانية قد آلت اليه في بداية القرن الماضي، خاصة في ظل التراجع المتواصل للجامع المشترك الأعظم لدى الشعوب الإيرانية، وهو الولاء الديني والمذهبي.

وعودة إلى «غياب عربستان عن دائرة الاهتمام العربي والدولي»، نجد أن أهم عوامل هذا الغياب يأتي لأسباب عديدة، أبرزها:

دولياً الظروف المعاكسة لقضية عربستان، والتي ظلت سائدة منذ قيام الثورة البلشفية عام ١٩١٧ حتى انهيار الاتحاد السوفييتي السابق.

رق الأوسط

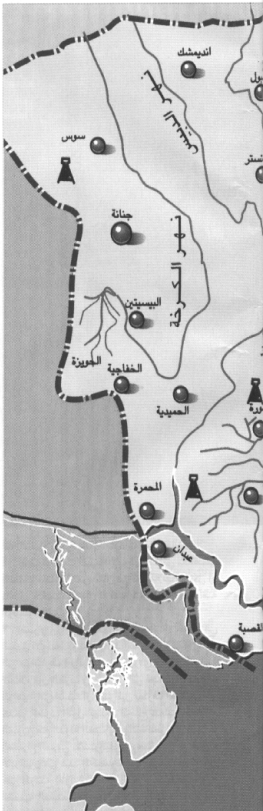

وانتهاء الحرب الباردة. وهي الظروف التي استأثرت إيران في ظلها بامتيازات دولية كبرى، وأهمية استراتيجية متميزة في المنطقة، بلغت في عهد الشاه مستوى الابن المدلل للغرب، باعتبارها الدولة الحاجز أمام التسلل الشيوعي الى المياه الدافئة في الخليج والشرق الأوسط، مما مكن إيران من ممارسة شتى صنوف الاضطهاد ضد الشعوب الإيرانية وخاصة العرب، دون أي رادع دولي.

عربياً انشغال الشعوب العربية بالنضال من أجل التحرر من الاستعمار الغربي، ومن ثم القضية الفلسطينية العادلة التي برزت كقضية مركزية للعرب والمسلمين في العالم، بالاضافة الى مشاكلها ونزاعاتها الداخلية وما أكثرها. وكذلك اشتراك بعض الدول العربية «المعتدلة» مع إيران الشاه في منظومة إقليمية واحدة، في ظل التكتلات والتحالفات التي أفرزتها الحرب الباردة، مما حدا بهذه الدول الى التزام الصمت سياسياً وإعلامياً تجاه سياسات الشاه التعسفية ضد أبناء عربستان، على اعتبار أن قضيتهم تدخل في «دائرة المحظورات». ومن جهة أخرى تعاملت بعض الدول العربية «الراديكالية» مع قضية عربستان، انطلاقاً من المصالح الذاتية الخالصة وأحياناً الانتهازية، حيث كانت كلما تفجرت خلافاتها مع طهران، عمدت الى إثارة القضية سياسياً وإعلامياً، ورفعها الى مستوى «القضايا العربية المصيرية»، وكلما خفت حدة هذه الخلافات، عادت لتتجاهل القضية من جديد، متذرعة بالحرص على الحفاظ على «ترتيب الأولويات الاستراتيجية والقومية العربية».

عربستانيا إخفاق النخبة الثقافية والسياسية في الإقليم في بناء مؤسسات وتنظيمات سياسية قوية قادرة على جعل القضية رقماً صعباً في الخارطة السياسية الإيرانية، أو حمل الغرب والدول العربية على تغيير موقفها من القضية، وإخراجها من «دائرة المحظورات».

أما على الصعيد الإيراني فان قضية عربستان ظلت، منذ قيام دولة إيران الحديثة عام ١٩٢٥، تتصدر أولويات الدولة على المستويين الداخلي والخارجي، سواء في عهد الشاه أو الثورة، وظلت تلقي بظلالها على الكثير من عمليات صنع القرارات السياسية الداخلية والخارجية العليا في طهران باعتبارها من أهم القضايا المصيرية في البلاد، لعمق تأثيرها المباشر على الأمن القومي والاقتصاد الوطني لإيران الشاه ◄◄

نبذة تاريخية عن عربستان

■٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد، شهد إقليم عربستان ميلاد إحدى أقدم الحضارات البشرية، وهي الحضارة العيلامية السامية.

■١٤٣٦م، قيام الدولة المشعشعية العربية برئاسة محمد بن فلاح، والتي حافظت على وجودها نحو ثلاثة قرون، بين الدولتين الايرانية والعثمانية، وتمكنت في بعض الفترات من بسط سيطرتها على أجزاء كبيرة من ايران بما فيها بندر عباس وكرمنشاه، وأقاليم في العراق بما فيها البصرة والواسط، وبالاضافة الى الأحساء والقطيف.

■١٨٣٧م، غزت القوات العثمانية مدينة الجمحرة واحتلتها، ومن ثم استولت على كافة نواحي عربستان.

■١٨٥٧م، اعترف ناصر الدين شاه القاجاري رسمياً باستقلال الجمحرة بكونها إمارة وراثية لها سيادتها وقوانينها الخاصة.

■١٨٩٧م، اغتيال الأمير مزعل بن جابر الكعبي، واستلام أخيه الأمير خزعل الحكم في عربستان، والذي تحالف مع بريطانيا حفاظاً على استقلال إماراته من الدولتين الايرانية والعثمانية. وقد لعب دوراً بارزاً في أحداث الربع الأول من القرن الماضي.

■١٩٠٧م، وقعت بريطانيا

والثورة، وذلك على الرغم من قلة ظهورها، وضآلة الاهتمام العربي والدولي بها.

فإقليم عربستان يتميز بأهمية استراتيجية واقتصادية فريدة تتمثل في موقعه الجغرافي الفاصل بين بلاد فارس وبين الوطن العربي، والمطل على الخليج وشط العرب، وثرواته النفطية الهائلة التي تشكل الشريان الحيوي بالنسبة الى الاقتصاد الايراني، حيث توفر نحو ٩٠ في المئة من عائدات إيران البترولية.

ولا يخفى عن العارفين ببواطن الأمور في إيران مدى أهمية دور قضية عربستان وتفاعلاتها الداخلية والخارجية، في عملية رسم السياسات والمواقف الإيرانية في مجال العلاقات مع العالم العربي، وخاصة الدول المجاورة منها. ويمكن استشفاف هذا الدور من خلال بعض أبرز التطورات والأحداث التي شهدتها العلاقات العربية الإيرانية، في عهدي البهلوي والجمهورية الإسلامية، وأهمها:

١ . قيام نظام الشاه بتطوير علاقاته وتعاونه مع إسرائيل، إلى مستوى التحالف الاستراتيجي، بسبب ما كان يجمع الجانبين من مصالح وأهداف مشتركة، ومن أهمها «خطر المد القومي العربي» الهادف إلى «استعادة كافة الأراضي العربية في فلسطين وعربستان».

٢ . توتر العلاقات العراقية الإيرانية، بعد ثورة عام ١٩٥٨، لأسباب يعود بعضها إلى قضية عربستان.

٣ . إقدام الشاه على تصعيد المواجهة ضد الحركات القومية الثورية بقيادة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، في المنطقة، خصوصاً بعد اجتياح المد القومي الناصري عربستان، على نحو أثار بشدة قلق السلطات الإيرانية، حيث أصبح لعبد الناصر قاعدة جماهيرية واسعة في الإقليم، وبرزت تنظيمات ناصرية مسلحة تطالب بالاستقلال التام عن إيران، والتي ألقى القبض على قادتها وعدد من أعضائها بمساعدة الموساد الاسرائيلي في أكبر عملية استخباراتية إيرانية إسرائيلية مشتركة، عام ١٩٦٣.

٤ . قيام طهران بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع دمشق عام ١٩٦٥، بسبب التصريحات التي أدلى بها يوسف زعين رئيس وزراء سورية آنذاك في البرلمان السوري، حيث دعا الى ضرورة العمل من أجل «تحرير عربستان من الاحتلال الإيراني».

٥ . ظهور أول بوادر الخلاف بين إيران الثورة وبين منظمة التحرير الفلسطينية، بسبب إصرار الرئيس ياسر عرفات على زيارة مدينة الأهواز وفتح مكتب للمنظمة هناك، خلال أول زيارة له لإيران، مما أثار بشدة الحساسية والشكوك لدى الايرانيين، وترك آثاراً سلبية مبكرة على العلاقات بين الجانبين.

٦ . الحرب العراقية الإيرانية، التي ساهمت القضايا المتصلة بعربستان في تداخلاتها، بشكل أو بآخر، خصوصاً وأن الإقليم كان يشكل الساحة الرئيسية للمعارك.

٧ . إصرار إيران على معارضة عملية السلام في الشرق الأوسط، والذي يعود أساساً، ولا نقول كلياً، الى مخاوف إيرانية من أن يؤدي نجاح عملية السلام بين العرب وإسرائيل الى نجاح «المحاولات الرامية الى استبدال اسرائيل بطرف اقليمي آخر كعدو العرب الأول، بهدف انجاح عملية التطبيع العربي مع الدولة العبرية، والتخلص من تبعات الصراع العربي الاسرائيلي». ومما يعزز مخاوف الايرانيين في هذا الخصوص شعورهم بأن «إيران هي المرشح الأول لمثل هذا الدور. بعد تسوية القضية الفلسطينية»، وذلك لاعتبارات عديدة، من أهمها القضية العربستانية الأخذة في التصعيد

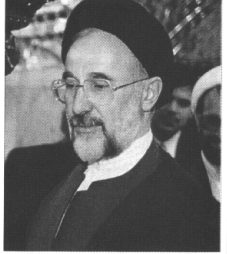

الارئيس الايراني محمد خاتمي

وروسيا القيصرية على معاهدة قسمت إيران الى ثلاث مناطق نفوذ، (بريطانية وروسية ومحايدة)، إلا ان اقليم عربستان لم يذكر في اطار هذه المناطق، حيث كان يعد إمارة عربية تتبه سمتقلة.
■١٩١٧م، انتصار الثورة البلشفية في روسيا دفع بالقوى الغربية وخاصة بريطانيا الى تغيير استراتيجيتها تجاه المنطقة، حيث اخذت تتخلى شيئاً فشيئاً عن دعمها لاستقلال إمارة عربستان لصالح كيان ايراني قوي وموحد يشكل حاجزا استراتيجيا أمام الشيوعيين الروس ومحاولاتهم الوصول للمياه الدافئة.
■١٩٢٤م، أعلن خزعل ثورته ضد رضا خان، وقام بعرض قضيته على (عصبة الأمم)، وطلب من علماء الدين في النجف اصدار فتوى بتكفير رضا خان الذي كان يشتهر بعدائه للاسلام والعرب، ولكن جهوده باءت بالفشل، خاصة وان البريطانيين تكتوا بجميع وعودهم للشيخ خزعل.
■١٩٢٥م، إجبار رضا خان بعد ظهور عجزه في تحقيق انتصار عسكري ضد الأمير خزعل، الى الخدعة فتمكن من اختطافه ونقله الى طهران، حيث وضع تحت الاقامة الجبرية، ومن ثم فرض سيطرته على عربستان بمساعدة بريطانيا، حليفة الشيخ خزعل، وهكذا فقد

ان قضية عربستان ظلت منذ قيام دولة إيران الحديثة تتصدر أولويات الدولة على المستويين الداخلي والخارجي سواء في عهد الشاه أو الثورة

داخلياً، وقضية الجزر الثلاث الآخذة في التصعيد خارجياً، فضلاً عن الصراع القومي والحضاري والتاريخي بين العرب وبين الفرس، والذي قد تصاعد هو الآخر بشكل ملحوظ نتيجة تعاظم النعصب القومي الفارسي على حساب الولاء الديني في إيران، خاصة منذ مجيء الرئيس خاتمي.

وقصارى القول، إن مأزق إيران مع العالم العربي لا يتمثل فقط في قضية الجزر الثلاث في الخليج، وإنما في التناقض الحاد في سياسات طهران الداخلية والخارجية، وكذلك الإزدواجية الصارخة بين الواقع القومي للدولة الايرانية وبين شكلها الاسلامي الثوري، والمتمثلة في ظهور إيران بمظهر الداعم الرئيسي وأحياناً الأوحد للقضايا العربية العادلة، وعلى رأسها القضية الفلسطينية، من جهة، وممارستها أشد أنواع الاضطهاد ضد العرب في اقليم عربستان، والتي بلغت خلال السنوات الأخيرة مستوى مصادرة الأراضي العربية وزرعها في المستوطنات الفارسية، تحت غطاء المشاريع العمرانية، وخاصة مشروع «قصب السكر» المشؤوم، من جهة أخرى.

فالمشروع حسب الرئيس الإيراني السابق هاشمي رفسنجاني الذي يعد الراعي الأول له، «أكبر مشروع وطني في مجال الزراعة في تاريخ إيران الحديث»، فيما يشكل بالنسبة الى العربستانيين، وخاصة الذين انتزعت منهم أراضيهم قسراً، مشروعاً استيطانياً بكل ما ينطوي عليه من إفراغ الأرض من أهلها وإحلال المستوطنين مكانهم، بهدف القضاء على الوجود العربي في الاقليم من خلال عمليات الدمج والتذويب، وبذلك لا يختلف في جوهره وأهدافه عن المشاريع الاستيطانية المعروفة عبر التاريخ. ولهذا فقد أبدوا مقاومة شديدة إزاء المشروع المذكور، تسببت باندلاع مواجهة دامية بين العرب وبين السلطات المحلية خلال عامي ١٩٩٤ و١٩٩٥، أسفرت عن مقتل عدد من أصحاب الأراضي التي صودرت أراضيهم، مما أثار السخط والغضب لدى العرب في الاقليم، حتى لدى بعض المحسوبين على النظام، ومن بينهم هاشمي زاده أحد ممثلي مدينة الأهواز في الدورة السابقة لمجلس الشورى الاسلامي، والذي احتج بشدة هو بعض زملائه على «مصادرة الأراضي العربية وعدم تقديم التعويضات الكافية لأصحابها، واستخدام العنف ضد المحتجين على المشروع»، خصوصاً وان المشروع الاستيطاني الأخير ليس الأول من نوعه، في عربستان، حيث سبق ان أقام نظام الشاه السابق، مستوطنة فارسية بالقرب من مدينة الحويزة العربية بمساعدة عدد من الخبراء والمستشارين الإسرائيليين، تحت ستار إصلاح الأراضي وتحديث الزراعة في المنطقة، والتي أطلق عليها اسم «يزد نو» أي يزد الجديدة، وذلك لأن معظم السكان جلبوا من محافظة يزد الفارسية (في وسط إيران، ومسقط رأس خاتمي)، إلا ان المستوطنة المذكورة أزيلت بعد قيام الثورة عام ١٩٧٩، من قبل أصحاب الأرض الحقيقيين من العرب.

ومن الملفت أن كلا المشروعين الاستيطانيين جاء مباشرة بعد هزيمة عربية كبرى، فمشروع مستوطنة «يزد نو» جاء إثر هزيمة ١٩٦٧ أمام اسرائيل، أما مشروع «قصب السكر» فقد بدأت عملية توسعه فور هزيمة العراق في حرب الخليج الثانية، وتراجع دوره الإقليمي تباعاً، الأمر الذي إن دلّ على شيء، فإنه يدل على عمق ارتباط إقليم عربستان بما يحدث في العالم العربي.

وعلى أي حال فان تنفيذ مشروع «قصب السكر» إلى جانب عوامل أخرى كتشبث النظام الإيراني بمواقفه الرافضة للاعتراف بالحقوق المشروعة للعرب، والتباطؤ في عملية إعادة بناء المناطق التي دمرتها الحرب، وعدم تسوية مشكلة تلوث مياه الشرب الناجمة عن تنفيذ مشروع قصب السكر، وتصاعد أزمة البطالة والإدمان، والفساد الإداري، واستمرار غير العرب في الاستثثار بمعظم المناصب الحكومية الهامة في الإقليم، قد ساهم بدور أساسي في تصعيد الموقف بين الجمهورية الاسلامية وبين أبناء عربستان، وتعاظم الاحتقان الشعبي في الإقليم، إلى درجة أصبح معها بعض المسؤولين السياسيين والأمنيين وعدد من البرلمانيين يحذرون النظام علناً من «تفجر الموقف في الإقليم».

وقد ساعد مجمل هذه المستجدات، الى جانب القفزة النوعية التي حققها أبناء الإقليم في مجال التعليم العالي.

◄◄

تمكنت ايران من ضم عربستان الى سيادتها، منهية آخر امارة عربية في الاقليم.
■١٩٤١م، احتلت القوات البريطانية عربستان ابان الحرب العالمية الثانية.
■١٩٥٨م، تشكلت جبهة تحرير عربستان. ومن ثم برزت تنظيمات قومية ناصرية مسلحة أخرى في الاقليم.
■١٩٦٧م، تشكلت الجبهة القومية لتحرير عربستان، ومن ثم جبهة تحرير الأحواز. وبعد عام تشكلت الجبهة الشعبية لتحرير الأحواز.
■١٩٧٩م، قيام الثورة الايرانية التي ساهم الشعب العربي في عربستان بدور بارز في نجاحها، خاصة من خلال المشاركة الأساسية في اضرابات عمال النفط التي شلت قدرات نظام الشاه، وعجلت بسقوطه. ولكن لم تمض سوى بضعة شهور حتى اندلعت مواجهة بين أبناء عربستان وبين النظام الثوري الجديد، وذلك بعد ان رفض الاعتراف بحقوقهم القومية والثقافية التي انتهكها نظام شاه. ومن ثم ارتكب حاكم الاقليم الجنرال أحمد مدني مجازر بشعة راح ضحيتها مئات من أهالي مدينتي الجمحرة وعبادان الذين قاوموا محاولة السلطات المحلية اغلاق المراكز السياسية والثقافية العربية في الاقليم. وشهدت عربستان

والتطورات السياسية والثقافية والاجتماعية التي تشهدها الساحة الإيرانية بصفة عامة، على بروز تغييرات جذرية متزايدة في الاقليم، أهمها تعزيز الانتماء والوعي القومي لدى الجماهير العربية، وانحسار أزمة الهوية لديها، وتراجع الانغلاق الثقافي والاجتماعي في الاقليم، وتضييق الهوة التي كانت تفصل بين نطاعات النخبة الثقافية والسياسية وبين مطالب رجل الشارع العادي التي كانت تركز على الأوضاع الاقتصادية والمعيشية المتفاقمة في الاقليم، اكثر من تركيزها على القضايا السياسية والثقافية.

ونتيجة لارتفاء مستوى التفاعل والتأثر المتبادل بين النخبة وبين الجماهير، والناجم عن النضوج السياسي، وتطور النشاط الثقافي والانتاج الفكري في الاقليم كماً ونوعاً، وتعزيز روح المواطنة على حساب الانتماء القبلي والعصبية العشائرية، ولدت في عربستان نهضة ثقافية سياسية ذات قاعدة شعبية عريضة، والتي أخذت خلال السنوات الأخيرة، تطوّر مستوى التعبير عن تطلعاتها، من مجرد التمييز عن القومية الفارسية، ومواجهة الانجراف نحو ثقافة الأمة المستولية، إلى النزوع إلى تغيير الوضع القائم في الإقليم سياسياً واجتماعياً وإقتصادياً.

أما دائرة هذا التغيير المأمول فلم تتضح حدودها بعد، لأسباب عدة قد يكون أهمها افتقار النهضة، بصفة عامة، الى استراتيجية سياسية واضحة ومحددة الأبعاد والأهداف، وهو ما يعود بالدرجة الأولى الى تعددية الاتجاهات والتيارات المنضوية تحت لواء هذه النهضة الآخذة في التنامي والتوسع.

فبعض هذه التيارات يدعو الى التغيير من خلال دعم الحركة الاصلاحية برئاسة خاتمي، وفي إطار دستور الجمهورية الإسلامية، حيث انه لا يزال يؤمن بإمكانية التوصل الى حلول توفيقية مع النظام القائم «تضع حداً للاضطهاد القومي والثقافي ضد العرب وتحول دون تفاقم الأوضاع في الإقليم الى درجة خطرة»، على الرغم من انه يتوجس من النزعة القومية الفارسية لدى الاصلاحيين. فيما يرفض البعض الآخر رفضاً باتاً حصر مطالبه وتطلعاته في أطر التيارات المتصارعة على السلطة أو خفض مستواها إلى ما هو أقل من «الحكم الذاتي أو حق تقرير المصير».

وإلى ذلك، فإن نجاح هذا التيار أو ذلك أصبح يتوقف على مدى نجاح الحركة الإصلاحية في طهران في تحقيق شعاراتها الطموحة، وخاصة في ما يتعلق بإقامة «المجتمع المدني»، وبالتالي، يمكننا القول إن الأفاق النظرية والمناهج العملية للنهضة القومية في عربستان، ستحدد مستقبلاً في ضوء التفاعلات السياسية على الساحة الإيرانية، وخاصة مصير الصراع المحتدم على السلطة.

وحتى لا تخترق عجلة هذه النهضة أو أي من

إثر ذلك اعدامات عشوائية، ونفي زعيمها الروحي آية الله آل شبير الخافاني الى قم حيث توفي في ظروف غامضة.

■ ١٩٨٥م، اشتعلت انتفاضة شعبية واسعة في كل انحاء عربستان احتجاجا على استثنائية في الجمهورية الإسلامية حيث انه «العربستاني»، الوحيد الذي تولى في إيران مناصب حكومية عليا.

■ ٢٠٠٠م، وقوع صدامات عنيفة بين قوات الأمن وبين المتظاهرين العرب الذين احتجوا على «تزوير نتائج الانتخابات البرلمانية»، واندلاع مواجهات دامية بين قوات الأمن وبين أهالي مدينة عبادان الذين تظاهروا احتجاجاً على تلوث مياه الشرب والتي خلفت عددا كبيرا من القتلى والجرحى.

خلالها العشرات من أصحاب الأراضي.

■ ١٩٩٧م، في خطوة غير مسبوقة في تاريخ إيران الحديث، عين الرئيس المنتخب خاتمي وزيرا من العرب، وهو الأميرال علي شمخاني الذي يشكل حالة

مقال في صحيفة ايرانية وجه إهانات جارحة لعرب الإقليم.

■ ١٩٩٤م، اندلعت مواجهات دامية بين قوات الأمن وبين العرب، الذين صودرت أراضيهم في اطار مشروع قصب السكر في الاقليم، والتي قتل وجرح

نظيراتها لدى الشعوب غير الفارسية. الخطوط الحمر للدولة الإيرانية، سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، أدرك منظرو الفريق الإصلاحي، ان عملية الاحتواء تبدأ بالاعتراف بوجود «معضلة وطنية باسم التعددية القومية والعرقية في إيران»، كما أدركوا على ما يبدو، انه لم يعد في إمكان الدولة الإيرانية تجاهل هذه المعضلة، أو معالجتها بوسائل وأساليب عفا عليها الزمن. ولذلك فقد سعوا خلال الفترة الأخيرة الى معالجة المشاكل الخاصة بالشعوب غير الفارسية، من خلال طرحها علناً على الرأي العام الإيراني عبر الصحافة الإصلاحية، وتخفيف القيود المفروضة على استخدام اللغات غير الفارسية، والسماح باصدار صحف أسبوعية وشهرية بهذه اللغات.

وهكذا فقد قفز عدد الصحف الناطقة بالأذربيجانية (التركية) والمطالبة باستعادة حقوق الأذربيجانيين في إيران، خلال عهد الخاتمية، إلى أكثر من العشرين، والناطقة بالكردية الى ما يقارب العشر، وسُمح للعرب للمرة الأولى في تاريخ إيران الحديث بإصدار صحف بلغتهم الأم تعبر عن بعض معاناتهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

ولكن بما أن سياسات الإصلاحيين ومواقفهم لا تروق لخصومهم المحافظين الذين يهيمنون على أهم مراكز صنع القرار والأجهزة الأمنية والاستخبارية والقضائية، بل يرون فيها «خطراً على النظام والثورة، وحتى مستقبل البلاد»، فانهم (أي المحافظين) صاروا يعملون بشتى الطرق والوسائل على عرقلتها، وإزالة انجازاتها.

ومن هنا فقد تحولت الأقاليم غير الفارسية، ومنها عربستان، للمرة الأولى، الى ساحة لتفاعلات الصراع على السلطة، الأمر الذي شكل عاملاً اضافياً في تعقيد الأمور وتصاعد الموقف على نحو خطير هناك. ففيما يسعى الفريق الاصلاحي حالياً الى منح بعض الحقوق الثقافية والقومية للشعوب غير الفارسية، ولو في إطار ضيق، لدرء الأخطار التي قد تهدد أمن ايران القومي ووحدة أراضيها من هذه الناحية، يعمد الفريق الثاني الى تشديد الإجراءات الأمنية والقضائية المفروضة في هذا الصدد، رافضاً التخلي عن أي من السياسات التعسفية التي مورست ضد هذه الشعوب خلال العقود الماضية. وفي هذا السياق، قامت السلطات الأمنية والعسكرية في عربستان والخاضعة لنفوذ المحافظين، خلال السنوات الأخيرة، بتكثيف الضغوط على النشطاء العرب المحسوبين على التيارات السياسية العربية المعتدلة واعتقال عدد منهم، ونقل عدد كبير من العسكريين العرب (وخاصة كبار الضباط) في الجيش النظامي والحرس الثوري، وقوات الأمن المسلحة، الى خارج الإقليم، منعاً لتأثرهم بالنهضة الثقافية السياسية، واليقظة القومية التي تشهدها عربستان، فضلاً عن تشبثها بسياسة نقل الفرس الى الإقليم، وسعيها الدؤوب لوقف الهجرة المعاكسة للفرس المقيمين في عربستان والذين صار عدد كبير منهم يعود الى موطنه الأصلي داخل ايران، هروباً من الأوضاع الأمنية والاقتصادية والمعيشية المتدهورة في الاقليم. كما واصلت السلطات المحلية في عربستان سياسة منع التحدث باللغة العربية في الدوائر الحكومية، ومنع تسمية المواليد بأسماء عربية، باستثناء الأسماء الدينية المألوفة.

وزير الدفاع الإيراني علي شمخاني

ووسط هذا التخبط في سياسات ومواقف فريقي السلطة، وفي ظل الأجواء الايرانية المليئة باحتمالات خطرة، يبدو ان الشعب العربي في عربستان لا يجد في المرحلة الراهنة خياراً أمامه سوى الانتظار، إلى أن تتضح بجلاء الحصيلة النهائية للصراعات السياسية والأيديولوجية في طهران، وانعكاساتها الداخلية والدولية على قضيته العادلة ■

منصور الأهوازي